-٦-

وخَطَبَ الحجَّاجُ بنُ يوسف(☆) النَّاسَ في مسجد الكوفة حين وليَ العراق :

أنـا ابنُ جَـلا وطـلاَّعُ الثَّنــايــا متَّى أضـعِ العِمامــةَ تعرفـوني(١)

يا أهلَ الكوفةِ ، إنِّي لأرى رؤوساً قد أيْنَعَتْ وحانَ قِطافُهـا(٢) وإنِّي لصـاحِبُهـا ، وكأنِّي أنظرُ إلى الدِّماء بينَ العمائِمِ واللِّحى(٣) .

هـذا أوانُ الشـدِّ فـاشتــدِّي زِيَمْ قـد لفَّهـا الليـلُ بسـوَّاقٍ حُطَمْ(٤)

ليسَ براعي إبــــــلٍ ولا غَنَمْ ولا بِجَــــــزَّارٍ على ظهرِ وَضَمْ(٥)

(☆) ولد سنة ٤١ هـ في مدينة الطائف ، سمّته أمه (كُلَيباً) ولقّبته بالحجّاج تفاؤلاً بأن يكون ورعاً كثير الحجّ . نشأ فصيحاً حافظاً للقرآن محترفاً للتعليم . طمح إلى المجد فترك تعليم الصنيان وانخرط في جيش يزيد بن معاوية وغيره من خلفاء بني أمية . عمل شرطياً تحت إمرة روح بن زنباع فأظهر قسوة وبأساً . وجّهه عبد الملك بن مروان إلى قتال عبد الله بن الزبير فنجح في إخماد ثورته وقتله سنة ٧٣ هـ . وولي أمر الحجاز واليمن بعد ذلك مدة عامين . ولما اشتدت الفتن في العراق بعد موت واليها بشر بن مروان أمره عبد الملك بالتوجّه إلى الكوفة والياً وقائداً مطلق الصلاحية ، فأبلى في قتال الخوارج بلاءً حسناً ، ووطّد لعبد الملك أركان الدولة مدة عشرين عاماً . توفي سنة ٩٥ هـ .

(١) هذا البيت لسُحيم بن وثيل الرياحي وقد تمثّل به الحجّاج . ابن جلا : من الجلاء والوضوح يريد أنه واضح الأمر . الثنايا : ج ثنيّة : الطريق في الجبل . يريد أنه رجل جلد يفوم على الشاق من الأمر . أضع : أنزل وأرفع .

(٢) أينعت : نضجت . قطافها : قطفها . يتشبه الرؤوس بالثمار اليانعة .

(٣) كناية عن الرقبة .

(٤) الشدّ : الاشتداد في السير . زيم : اسم فرس أو ناقة ، أو جمع زيمة وهي الجماعة من الإبل . لفّها : جمعها . الحطم : الذي لا يبقي من السير شيئاً .

(٥) الوضم : خشبة يقطع عليها اللحم . يشبّه الحجاج نفسه في الشدة والعنف بالرجل المقصود في هذين البيتين وهو سُرَيح بن ضُبَيعة وكان قد غزا اليمن بجموع من ربيعة فغنم وسبى ، وفي عودته ضلّ وجماعته الطريق ، وهلك منهم ناس كثير عطشاً ، فجعل سُرَيحٌ يسوق القوم سوقاً عنيفاً حتّى نجا بمن بقي معه ، فقال الشاعر وهو رُويشد بن رميض العنبري هذا الشعر فيه ، وصار يلقب بالحطم .